## مقدمة

إن ملائمة الفضاء العمراني للإنسان هي قضية مطروحة خصوصا في العهد الأخير الذي أصبح فيه الفضاء العمراني يخضع لآليات حديثة، هذه المشكلة لم تطرح من قبل في النسج القديمة خصوصا المدن العربية الإسلامية والتي منها المدن الصحراوية، حيث تم إنشاء هذه المدن على أساس يتماشى مع متطلبات الإنسان الأساسية ويعكس القيم الاجتماعية والمؤثرات الثقافية التي جاء بها الإسلام، ويوظف المواد المحلية للتغلب على الظروف الطبيعية السائدة.

وسنتطرق في هذا الفصل إلى إبراز تعريف المدينة الصحراوية بالإضافة إلى خصائص المدن الصحراوية وعوامل طهورها ومميزاتها واشكال نسيجها وأسباب فقدان المدن الصحراوية لهويتها، لنتطرق في الاخير الى نماذج للتوسع العمراني.

## I. المدن الصحراواية

### 1-تعريف المدينة الصحراوية:

هي مدن لها سماتها الخاصة، وذلك راجع الى المناخ من جهة ووجودها في مساحات منبسطة من جهة اخرى ،هذان العاملان اعطاها اكثر خصوصية .

هذه المدن ولدت لوظيفة الربط بين المحاور الكبرى لمرور القوافل التجارية كما تأخذ هذه المدن شكل الواحة اذ ان الماء والنخيل يدعم وظيفة الاستقرار في الحقب التاريخية، اهملت هذه المدن حضريا ولم تنشأ فيها المرافق والتجهيزات، وبعد الاستقلال استعملتها الدولة كقاعدة مراقبة اقليمية مما اعطاها انتعاشا وتطورا جديدا وسريعا.

وتوسعت عموما في شكل قطاعات كاملة مع طرق بناء تقليدية في مخططاتها كما في مواد البناء.

تتميز المدن الصحراوية عن غيرها بالنظام المتضام للمباني بدرجة كبيرة جدا والشوارع السقوفة والفتحات الضيقة لبيوتها السكنية ، ويعتبر البيت السكني خلية من الخلايا الاساسية في تكوين النسيج العمراني للمدينة، كل المباني مبنية من الطين ومسقوفة بجذوع الاشجار ويغلب على نسيجها العمراني التركيبة القبلية ، حيث يوجد لكل قبيلة موقعها الخاص وشبكة شوارعها عبارة عن أزقة تتجمع في شارع عام ينسب إلى قبيلة أو عشيرة معينة.[1]

### 2-عوامل ظهور المدن الصحراوية:

**2-1 العامل التجاري:** كان يلعب دورا هاما في إنشاء المدن وهذا عن طريق التبادل التجاري للرحل في مناطق التقاء القوافل التجارية.

**2-2 عامل المياه:** والذي يتمثل أساسا في الوديان المؤقتة التي تمول المدن كوادي مزاب وواد ميه...الخ.

وكذلك الآبار التي تعتبر مصدر لاستخراج المياه الجوفية.

**2-3 العامل الدفاعي:** تخطيط المدن الصحراوية والقصور بشكل عام يرجع إلى العامل الأمني بما فيه الأسوار والأبواب .

[1] بروكش راضية "التوسع العمراني للمدن الصحراوية في ضل مبادئ التنمية المستدامة –مدينة جامعة– مذكرة تخرج لنيل شهادة الماستر تخصص تسيير المدن والتنمية المستدامة جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي 2015،ص 37

**2-4 العامل الديني:** وهذا يتضح من خلال التعاليم الدينية فالمسجد والزوايا القرآنية عناصر مقدسة تحتل مركز القصر.[1]

## 3-العمران وخصائصه في المدن الصحراوية:

### 3-1المدن الصحراوية القديمة:

لقد قطن الإنسان الصحراوي من القدم ونظرا للظروف القاسية استطاع التأقلم مع هذه الأخيرة, وذلك من خلال إنشائه لمدن ذات طابع خاص ومميز والذي يتمثل أساسا في القصر والواحة وهذا ما يميز المدينة في شمال الصحراء الجزائرية.

### 3-1-1 القصـر:

تعود كلمة القصر الى ان العدو يكون قاصرا على الدخول او التوغل الى هذه المجتمعات اما اصطلاحا فهو عبارة عن تجمعات سكنية محاطة بأسوار عالية وأبراج المراقبة.ويعتبر القصر المرآة التي تعكس الوجه الحقيقي للمدينة الاسلامية بما يحويه من قيم اجتماعية وثقافية تستمد جذورها من تعاليم الشريعة الاسلامية وما اقتضته الظروف المناخية من جهة وتلبية حاجيات أخرى.

نلاحظ أن النسيج المبني للقصر ككتلة موحدة ومتجانسة تربط بين أجزاءها شبكة ممرات مفقدة تأخذ شكل شرايين وتتوسط واحات النخيل، كما يمكن اعتبار نسيج القصر كوحدة متكاملة تتصل بالوسط الخارجي عن طريق الأبواب أحدهما يستعمل للدخول والآخر للخروج تفتح وتغلق لمواقيت محددة, حيث تغلق عندما ينادي المؤذن للصلاة في المساء ما عدا باب واحد يفتح ويغلق تبعا لمواقيت أخرى.

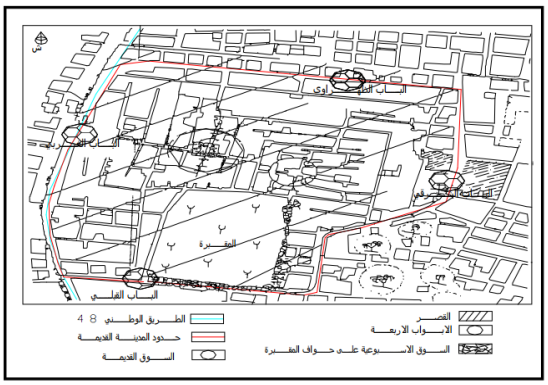


**المخطط رقم02:بنية القصر**

**المصدر: معاوية سعيدون2000**

[1] د بوجمعة ,العمران والمدينة , .دار الهدى .عين مليلة 2005 .ص رقم 72/69/68

أما الممرات تعتبر من المكونات الأساسية للقصر وتمثل عناصر الربط بين أجزاءه وجميع هذه الطرق لا تتخذ شكل منتظم (دائري، مستقيم) إذ تتبع شكل التجزيئات الغير منظمة.

أما التجهيزات تعد إحدى العناصر الأساسية في الحياة اليومية للسكان ونجدها تتمثل في التجهيزات الدينية (المساجد،الزوايا، والمدارس القرآنية) والتجهيزات التجارية (الأسواق المركزية و المحلات), وهي تتوزع على كامل النسيج ونلاحظ سيادة التجهيزات الدينية .

▪الساحات تعتبر كذلك من أهم العناصر في نسيج القصر كونها من ابرز المساحات الحرة وهناك نوعين منها: ساحة على مستوى القصر، ساحة على مستوى الحي.

أما المسكن أو البيت الصحراوي القصوري يتميز بفنائه الداخلي وبتوجه نحو الداخل كونه يملك واجهات صماء وبسيطة قليلة الفتحات على الخارج وشكل المباني الموجهة للسكن 93 % من مجموع المباني داخل القصر.

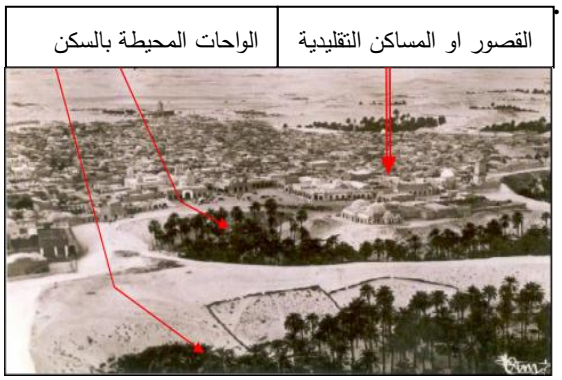


**الصورة رقم01:توضح القصر و الواحة في المدن الصحراوية**

**المصدر:معاوية سعدون 2000**

كما يتمتع نسيج القصر بالمركزية والوظيفية والحرمة وعلى مستوى هذا التخطيط الجدير بالاهتمام من طرف المختصين بتصميم العمارة الحالية لتوفير الكم من السكن دون إهمال الطابع المحلي.

أما من الناحية البيومناخية فالعمارة البيئية داخل القصر توفر الراحة المناخية والنفسية والحياة على النمط التقليدي ودون اللجوء إلى وسائل تقنية أخرى.

و من ناحية مواد البناء المستعملة في القصر فهي محلية ذات توصيل حراري ضعيف فبذلك استطاع الإنسان استعمال بعض الحجارة كالكوم في بناء المساكن التي لا تكلف كثيرا.

**3-1-2 الواحـة:**وتتمثل في غابات النخيل التي توجد بجانب النسيج العمراني حيث تزخر بثروة هائلة من النخيل، وفي بعض الأحيان تحيط بالنسيج العمراني (القصر)، ولقد كانت تلعب الدور الرئيسي في جلب الغذاء وتوفير مناخ منعش وجو لطيف كما تعمل على كسر الرياح ومنع زحف الرمال إلى القصر.[1]

[1] ديب زهية :مجتمع القصور دراسة في الخصائص الاجتماعية والعمرانية والثقافية مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في علم الاجتماع فرع علم الاجتماع الحضري جامعة منتوري قسنطينة 2006، ص 96

**4-أشكال النسيج العمراني في المدن الصحراوية:** عرف التطور التاريخي للنسيج العمراني مراحل مختلفة بحيث تركت كل مرحلة بصماتها وهندستها المعمارية داخل النسيج العمراني وبهذا يمكن ان نميز الانسجة التالية :

**4-1 النسيج التقليدي:**

نجد هذا النوع من النسيج في المركز القديم للمدينة ، وهو مأخوذ من النمط العربي الاسلامي ،الذي يكون فيه المسجد والسوق العنصرين ألمهيكلين، تتموضع المساكن في هذا النمط بشكل متداخل حيث نجد أن الكثافة السكانية مرتفعة جدا ،لكن في غالب الاحيان تكون المساكن ذات طابق أرضي فقط كما يراعي في هذا التنظيم المجالي ،الظروف المناخية والاجتماعية ،أما الطرق فتتميز بالضيق الشديد وذلك لتوفير الظل للمساكن و المارة بالاضافة الى كثرة الالتواءات بهدف كسر الرياح وزحف الرمال.

**4-2 النسيج الاستعماري:**

بدأ هذا النوع بعد دخول المستعمر الفرنسي الى المدينة ،والذي يتميز بوحدات ذات أشكال هندسية محددة و منتظمة تحصر بينها شوارع واسعة لتستوعب المعدات الميكانيكية العسكرية ،كما يتميز بارتفاع بناياته التي تصل الى ثلاث طوابق وانفتاحة نحو الخارج عكس النسيج التقليدي بالاضافة الى الاشكال العمرانية المتمثلة في الاقواس.

**4-3 النسيج الفوضوي :**

وهو النوع السائد، وهو عبارة عن السكنات الفردية للخواص وسببه الرئيسي هو طبيعة الملكية العقارية للاراضي المحيطة بالمدينة والتي أغلبها ملك للخواص ،وهو عبارة عن خليط بين الطابع التقليدي والحديث فنجده متنوع الاستعمال لمواد البناء وكذا الأشكال الهندسية،ولقد ظهر نتيجة التوطن غير القانوني للمساكن ويشكل نمط شبه شطرنجي متداخل بوحدات سكنية ذات أشكال هندسية منظمة ،تحصر بينها طرق طويلة مستقيمة وضيقة.

**4-4 النسيج المخطط الحديث :**

ويتمثل في التجمعات السكنية المخطط لها والاحياء السكنية الجماعية ونصف جماعية وفق مقاييس وطنية معمول بها على عكس النمط السابق .[1]

[1] شالة عبد الباسط محمد الصغير:العمارة والعمران الصحراوي بين الاصالة والمعاصرة مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في تسيير التقنيات الحضرية ص 12

## 5- المدن الصحراوية الحديثة:

تتميز المدينة الصحراوية في المرحلة الحديثة بمزيج من الأشكال والأنماط المعمارية والعمرانية المتباينة والبعيدة كل البعد عن البيئة والاحتياجات الإنسانية والمجتمعية، وهذا الكم الهائل من التشكيلات نمت نموا عشوائيا في كل مكان وأخذت أشكالا مختلفة، نجد من تأثر بالفكر الغربي ونظرياته والتي لا تتماشى مع قيمنا وتقاليدنا ودينا و مبادئنا، ومنه من حاول الرجوع إلى الماضي و الاقتباس منه، دون النظر إلى خصائص كل عنصر ودوره في التشكيل، حيث أدى كل هذا إلى فقدان العمارة والعمران مقوماتهم االحضارية،حيث أصبح التغريب مبدأ يرمز إلى التقدم والتطور، وأصبحت العمارة الصحراوية الحديثة مجرد عنصر مضاف لا تعبر عن جوهر الفكر المعماري والعمراني للمجتمع الصحراوي الأصيل. [1]

### 5- 1الوضعية الحالية للمدينة الصحراوية الحديثة :

لقد اتخذت العمارة الصحراوية الحديثة عدة اتجاهات أساسية وهي:

- عمارة استخدمت الطرز المعمارية الكلاسيكية الغربية.
- عمارة غريبة الملامح والحلول التصميمية لا تتناسب مع البيئة (الاجتماعية، الثقافية، المناخية) الموجودة فيها.
- محاولة إضفاء الملمح التراثي دون وعي بخصائص كل عنصر وعلاقته بالتكوين.
- عدة محاولات للتعبير عن العمارة البيئية تمثلت في استخدام القباب والقبوات والفتحات الضيقة والمشربيات.
- محاولة الربط بين الأصالة والحداثة والبحث عن الهوية والطابع المعماري والعمراني المميز واستخدام مفردات التراث المعماري وحلوله.[2]

## 6- المؤثرات وأسباب فقدان المدينة التقليدية لهويتها: وهي كثيرة نذكر منها:

- حدة أزمة السكن مما أدى إلى وجود أنماط جديدة من التصميمات ذات طابع غربي.
- سيادة الفكر الغربي على وحدة التعبير.

[1] شالة عبد الباسط محمد الصغير:العمارة والعمران الصحراوي بين الاصالة والمعاصرة مذكرة تخرج لنيل شهادة مهندس دولة في تسيير التقنيات الحضرية ص 17

[2] نفس المرجع السابق : ص24

- استخدام نظم الإنشاءات الحديثة منها الجاهز والبناء المصنع (الخرسانة....)
- غياب القيم التي تربط المبنى بالإطار الاجتماعي (المبنى وعلاقته بالنسيج العمراني).
- محاولة إيجاد طابع معماري وعمراني مميز دون دراسة، مما أدى إلى ظهور أشكال غريبة ومتنافرة.
- البعد عن الاعتبارات الإنسانية والمجتمعية، حيث اضمحلت المشاعر والقيم والمبادئ التي تمد بصلة إلى الدين الإسلامي.

## II.نماذج عن التوسع العمراني :

### ❖ التوسع العمراني في السعودية (الرياض):

تمثل مدينة الرياض في مجال التطور الحضري و النمو العمراني نموذجا لنشأة مدينة عالمية كبري في نحو نصف قرن من الزمان. شهدت المدينة عام 1773 م نموا بطيئا، ثم أصبحت تنمو بمعدلات كبيرة في عهد الدولة السعودية الحديثة عام 1920م، حيث اتسعت مساحتها من كيلو متر مربع، يقيم بها قرابة عشرة آلاف نسمة، إلى حوالي ثمانية كيلو مترات مربعة، تضم حوالي ستين ألف نسمة.

ثم عام 1944م عرفت المدينة أول عمل تخطيطي منظم نسبيا بتوفير قطع أراضي سكنية خصصت لتوطين القادمين إلى الرياض من أبناء البادية. وتمت إزالة أسوار المدينة القديمة و ذلك للسماح للمدينة بالنمو و التوسع، وكما قامت الحكومة بتشييد شبكة من الطرق المعبدة تربط المنطقة الشرقية و المنطقة الغربية بمدينة الرياض.

**الصورة رقم02:صورة عامة للرياض قديما**

**الصورة رقم03 :سور وأبراج الرياض**

**المصدر: www.arriyadh.com**

و بعد تشييد مباني الوزارات في الجزء الشمالي من المدينة و إنشاء بعض الأحياء السكنية التي خططت علي نظام أحدث. وصلت مساحة المدينة إلى حوالي 45 كيلومترا مربعا.

و نظرا للتوسع العمراني الذي شهدته المدينة ما بين ( 1968م – 1976م) قام المسؤولون في المدينة بوضع مخطط عام يتم بموجبه توجيه النمو العمراني للمدينة، حيث شمل هذا الأخير منطقة تصل مساحتها إلى(304كيلومترمربع)، غير أن التوسع كان كبيرا و النمو مذهلا فاق كل التوقعات.

أدي تسارع النمو العمراني لمدينة الرياض خلال المراحل المذكورة سابقا إلى هجرة سكان المنطقة إلى أجزاء أخرى من المدينة، أدي هذا إلى تفريغ المنطقة من السكان و تراجع الحالة العمرانية مع تغيير الاستعمالات السكنية، ما أثر سلبا على دور وسط المدينة و وظيفته الرئيسية.

**الصورة رقم 04:منظر عام للرياض حديثا**

**المصدر:www.arriyadh.com**

ولهذا اعتمدت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض خطة متكاملة لتطوير وسط مدينة الرياض تركز أساسا علي توسع داخلي محض، تهدف إلى تحويل المنطقة إلى مركز تاريخي إداري واقتصادي و ثقافي على المستو الوطني .

وتعمل هذه الخطة على تحقيق مجموعة من العناصر تشمل:

تطوير الأحياء السكنية و هذا عن طريق زيادة كثافة الوحدات السكنية المختلفة بهدف زيادة عدد السكان في المنطقة.

–المحافظة على الأنشطة التجارية القائمة و زيادة فرص العمل بتكثيف و تنويع الاستعمال التجاري المختلط على الشوارع الرئيسية.

–تطوير منظومة النقل في المنطقة باستحداث طرق داخلية جديدة، تأهيل الطرق المحيطة بالمنطقة و توسيعها، تأهيل التقاطعات، وتخصيص مواقف للسيارات بكافة أجزاء المنطقة، إضافة إلى إنشاء ثلاثة خطوط رئيسية:

– تطوير المناطق المفتوحة والحدائق عبر توفير ساحات عامة و مناطق مفتوحة تخدم المنطقة و المدينة بشكل عام ،و كذلك تضمنت الخطة توسعة متنزه سلام.

– المحافظة على التراث العمراني الثقافي من خلال مشروعي تطوير( الظهيرة و الدحو) واعتبار المنطقة ."داخل منطقة الرياض القديمة منطقة حضارة خاصة.

و قد أكد البرنامج التنفيذي للخطة على ضرورة و جود حكومي مباشر خصوصا في المراحل الأولي من التطوير و ذلك من خلال مجموعة من الآليات التنفيذية دون إهمال مؤسسات القطاع الخاص، إضافة إلى إشراك ملاك العقارات في المنطقة و صغار المطورين[1].

**الصورة رقم05:صورة جوية لمنتزه السلام**

**الصورة رقم06:المناطق المفتوحة في وسط الرياض**

المصدر :www.arriyadh.com

**المخطط رقم03: مخطط لخطة تطوير وسط مدينة الرياض**

**المصدر**:www.arriyadh.com

[1] الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض: خطة تطوير و سط مدينة الرياض، 2013م ، ص ص 7 – 30

## ❖ التوسع العمراني بمدينة غرداية:

### 1-الموقع الفلكي و الجغرافي :

تقع ولاية غرداية في شمال الصحراء الجزائرية بين دائرتي عرض80، 32و20 ، 33شمال خط الاستواء و خطي طول40 ، 0و30، 4شرق خط غرينيتش.

يحدها شمالا ولايتي الاغواط والجلفة ،و من الجنوب تمنراست ، و غربا ولايتي البيض وادرار ، أما شرقا ولاية ورقلة.

تعرف ولاية غرداية بعدة تسميات منها:

-بلاد الشبكة ,تتخللها اودية عديدة كانت عامرة مند القدم.

-بلاد ميزاب, نسبة الى سكان المنطقة بني( ميزاب).

-بلاد بني مصعب ,و هم البدو الرحل الدين قطنوا بالمنطقة.

**الخريطة رقم01:موقع مدينة غرداية**

### 2-الموضع

اعتمد في تخطيط المدينة على قواعد عمرانية محكمة, حيث رعيت فيها عدة جوانب منها الجانب الدفاعي ,و الجانب الروحي, و الجانب الاجتماعي, و الجانب الاقتصادي, كما اعتمد ايضا العاملين المناخي و الطبوغرافي من خلال الابتعاد عن مجرى الواد, و موقعها بالنسبة له,حيث نجدها في منطقة الترسب اين تكون نسبة المياه ضعيفة نسبيا حيث تقل التعرية النهرية , كما تكون الأراضي أكثر خصوبة لما تتركه مياه الواد من رسوبيات غنية.

## 3-التطور العمراني للمدينة:

عرف المجال العمراني لمدينة غرداية حركة تعميرية واسعة و سريعة بالرغم من العوائق الطبيعية للمدينة و الطبيعة العقارية للاراضي( الملكية الخاصة) و شهدت نموا سريعا مر بعدة مراحل.

**المرحلة الاولى:** تمتد من نهاية القرن الرابع هجري الى نهاية القرن الثامن , و تم فيها تشييد قصر( غرداية 445هـ) .1053م, (ثم قصر مليكه 516هـ) .1124م, و قد ازدهرت فيها الفلاحة و حفر الآبار ، وهو ما ادى الى ازدهار العمران ايضا.

**المرحلة الثانية** : بدأت في اوائل القرن التاسع هجري(1403 م )، وانتهت مع امضاء عقد مصالحة مع فرنسا(1853 م), وتميزت بتوسع عمران المدينة بفعل ممارسة التجارة ، والزيادة السكانية, مما ادى الى توسعة القصر عدة مرات (عبر ثلاث مراحل).

**المرحلة الثالثة:** بدأت مند سنة1853 م الى غاية1962 م ، وتميزت بخلق مركز استعماري منافس للمركز القديم وذلك بتواجد مختلف السلطات الاستعمارية فيه, و بدأت تنتشر احياء جديدة(مرماد, بابا السعد ,الحاج مسعود ,العين )....

**المرحلة الرابعة:** بدأت مند الاستقلال و الى يومنا هدا, و قد نمت فيها المدينة في جميع الجهات بوتيرة سريعة، وهذا راجع الى الاسباب التالية :

- انشاء منطقة صناعية(غار الطعام)
- سياسة التعمير المنتهجة من طرف الدولة.
- قرب المدينة من بعض المدن التي بها آبار البترول و الغاز.

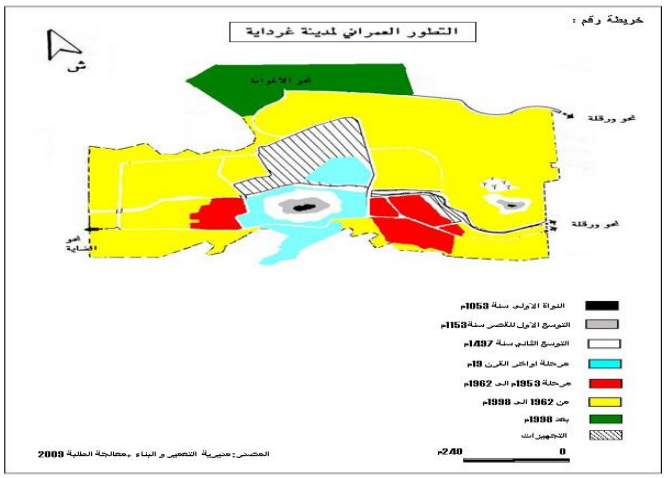


**المخطط رقم04: مراحل التطور العمراني**

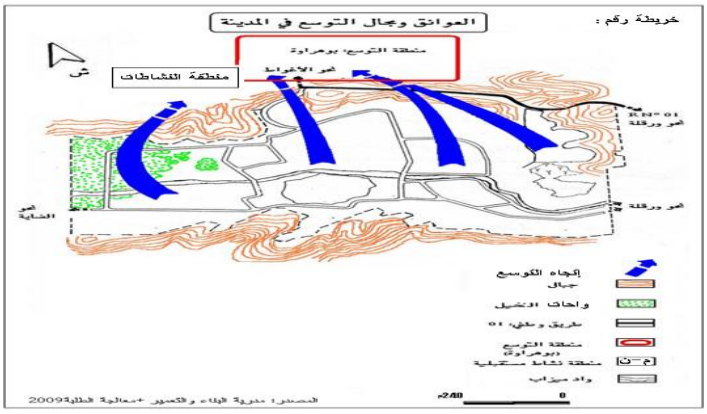


**مخطط رقم05: عوائق واتجاهات التوسع لمدينة غرداية**

## 4-الآليات المتحكمة في التوسع العمراني في مدينة غرداية

شهدت مدينة غرداية العديد من المشاكل ابرزها التوسع العمراني العشوائي الذي هو حتمية, لمجموعة من العوامل الاجتماعية و الاقتصادية و الجغرافية, مما يؤدي الى الاستهلاك المفرط للمجال دون مراعاة الخصوصيات الاجتماعية و الجغرافية في توجيهه.الآليات المتحكمة في التوسع العمراني تتمثل في معرفة الاطار القانوني و المرفولوجية العامة التي تميز هذا التوسع ,ثم تحديد اهم المتعاملين و المتدخلين في عملية التوسع بغية الوصول الى تصور سليمو مستمر لنسيج عمراني أصيل يراعي جميع الخصوصيات الاجتماعية و الاقتصادية و المناخية.[1]

[1] زيداني حليمة: المدن العتيقة بالجزائر بين التدهور و حالة الحفاظ –حالة مدينة تقرت– مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير أم البواقي، دفعة 2007ص 87

## خلاصة الفصل

لقد تطرقنا في هذا الفصل الى مفهوم المدن الصحراوية وعوامل ظهورها و خصوصياتها.

ففي المدن الصحراوية نجد معظم المدن القديمة جاءت نتيجة لحياة فرضتها الظروف الطبيعية و الاجتماعية المميزة لها أما المدن الصحراوية الحديثة نجدها قد فقدت هويتها و يعود ذلك التقليد الأعمى للطابع الغربي التي لم يراعي خصوصيات المنطقة.

ومن هنا يمكننا استخراج الكثير من المبادئ و القيم من المدن الصحراوية القديمة لتوظيفها في التصميم و التخطيط العمراني الحديث و إنجاز مشاريع عمرانية تراعي هذه المبادئ و القيم و تتأقلم مع الحياة العصرية.

كما أثرينا موضوعنا بنماذج عن التوسع العمراني .

و لقد أخذنا في بحثنا هذا مدينة المغير كحالة دراسة و التي تعد من أحد المدن الصحراوية و أحد مدن وادي ريغ لتحديد توسعها العمراني